تمثلات الفقراء لمجالهم المعاش "الحي السكني" بمدينة انواكشوط:

دراسة إنثروبولوجية حضرية

محمد ولد أعبيد
قسم الجغرافيا

ملخص:
تناول العديد من باحثي الانثروبولوجيا الحضرية تثمين السكان لمجالهم المعاش من خلال نظرتهم إليه وتقييم مستوى العيش فيه. على مستوى مدينة أنواكشوط تباينت نظرة السكان الفقراء لأحيائهم السكنية حسب جملة من المعايير أهمها: العمر، الجنس، المستوى الاقتصادي والتعليمي والوضعية الاجتماعية – المهنية الخ. ليتبين أن القاسم المشترك بين تلك الانطباعات الذاتية: الازدراء والنظرة الدونية تجاه تلك الأحياء، جراء الوضعية المزرية بسبب الفقر والإحساس بالعزلة الجغرافية و اللا مساواة الاجتماعية وضعف الاندماج المجالي. وهو ما ترك أثرا واضحا على التمثلات الذهنية للأفراد، وأظهر نوعا من ضعف الإحساس بالمواطنة وغياب هوية الانتماء الترابي.

Résumé :

De nombreux chercheurs en anthropologie urbaine se sont intéressés à l'évaluation des populations pour leurs espaces vécus, en se basent sur leur perception et la valorisation de leur mode de vie.

Dans la ville de Nouakchott, la vision des populations déshéritées pour leurs quartiers pauvres s'est basée sur un ensemble de critères tels : l'âge, le sexe, le niveau économique, l'instruction et la situation socio- professionnelle etc.

Il est apparu à cet effet que les paramètres communs à ces impressions subjectives et les avis ségrégationnistes envers ces quartiers se traduit en quelque sorte par une situation critique marqué par la pauvreté, le sentiment de ségrégation spatiale et l'inégalité sociale ainsi qu'une faible intégration spatiale ; Ce qui à influé de façon claire sur la perception des citoyens et a nourri une sorte d'indifférence par rapport à la citoyenneté et l'absence de l'identité territoriale.

يجسد المجال الحضري المعاش فضاء مألوفا يتحرك فيه السكان النشطون حيث يتكون من سلسلة وحدات جوار متسعة نوعا ما وفقا لأهمية العلاقات الاجتماعية وكثافة السكان. فغالبا ما يكون الشعور بالانتماء لمجموعة ما أشد كلما كان إدراكها للحدود (حسيا / عقليا) أقوى. ويتناسب هذا الشعور مع أهمية النسيج الحضري المتصل والمستوى الاجتماعي. ومن هذا المنطلق كثيرا ما يتغير مفهوم المجال المعاش حسب المستوى المهني ومكان العمل والعمر وبتطور مستوى العيش (الجديدي. م، 1997). فما هي نظرة فقراء انواكشوط لمجالهم المعاش (الحي السكني)؟ كيف أثرت وضعيتهم جراء تفاقم الفقر في نظرتهم إليه؟.

تفاوتت الصورة الذهنية التي يكونها السكان الفقراء عن المجال الحضري للمدينة حيث اتخذت أشكالا وأنماطا متباينة تبعا لاختلاف المستوى الاقتصادي- الاجتماعي والثقافي والمهني والعمري والجنس مما انعكس على تمثلات الأفراد والصورة الذهنية التي يكونوها عن مجالهم المعاش الخاص (الحي السكني). سعيا لاستقراء الصورة الذهنية لدى الفقراء عن أحيائهم السكنية وتمثلاتها، يحاول هذا المقال قدر الإمكان، رغم الصعوبات، بلورة آراء المستجوبين لمعرفة انطباعاتهم عن أحيائهم السكنية ؟ وكيف يقيّمون مستوى الحياة بها ؟.

1. تعريف الحي السكني:

اختلفت آراء الباحثين حول أهمية الحي السكني ونظرتهم إليه فمنهم، قديما، من اعتبره أهم مكان في المدينة يستمد منه الأفراد معنوياتهم بفعل عامل الانتماء(Germain. A et Blanc. B,1998). في المقابل وصفه المُحدَثون بكونه حقيقة اجتماعية مجالية وديناميةووظيفية يندرج ضمن نظام حضري عام ومنه يستمد الأفراد خصوصيتهم(Di Méo. G,1994). بينما يراه فريق ثالث بمثابة وحدة فضائية متناسقة ومترابطة عضويا تساهم إلى حد كبير في بناء كيان المدينة (بوكراع. ر، 1992). الحي كيان وحقيقة جغرافية داخل المدينة، يشكل مركزا للحياة والأنشطة والعلاقات، مما يجعل منه بيئة مباشرة أكثر ألفة مقارنة ببقية مناطق المدينة الأخرى(جورج. ب، 2002).

يشكل الحي وحدة اجتماعية مجالية تعكس أشكال التضامن بين السكان من خلال تباين مستوياتهم المحلية ومستوى الأنشطة والعلاقات التي تربط بينهم(Escalier. R,2001). أخيرا يجسد الحي طبيعة الدور الفعال

للسلطة وروابط المجاورة القائمة (المحدثة؛ المكررة أو المفروضة) وفق آلية تاريخية تتماشي مع السياق الذي أفضى إلى نشأته أصلا (Belhedi. A,2002).

عموما مما لا شك فيه أن الحي منتوج اجتماعي يتم تمثله من قِبَلِ مختلف الشرائح السكانية. وعليه فإن دراسة الصورة والتمثلات التي يكونها الأفراد عن أحيائهم السكنية أمر مُعينٌ على الفهم الصحيح للعلاقة التي تربطهم بهذا الحيز بصفة عامة وتجسيدا واقعيا لأبعادها الحسية والتصورية بصفة خاصة (Bertrand. M-J et Metton. A,1975). من هذا المنطلق ما هي الصورة والتمثلات لدى أرباب الأسر الفقيرة على مستوى مدينة انواكشوط عن أحيائهم السكنية؟ كيف انعكست وضعيتهم كفقراء على تلك التمثلات؟. أخيرا ما مدى شعورهم بالمواطنة وإحساسهم بهوية الانتماء الترابي لمجالهم المعاش؟.

2. نظرة الفقراء لأحيائهم السكنية في انواكشوط: أية دلالة إنثروبولوجية؟

ترك الإرث البدوي أثرا بالغا في تصورات الفرد الموريتاني وإدراكه الحسي لمجاله الحضري وتَمثُلِ مختلف نطاقاته مما قلل من شعوره وإدراكه الحسي وتمثلاته المجالية (Choplin.A, 2001).وفي ظل ضعف التصورات والتمثلات التي يكونها سكان مدينة انواكشوط وفئاتها الفقيرة تحديداً عن أحيائهم السكنية، نظراً لحداثة عهدهم بالحياة المَدَنِيَةِ، تمكنت الدراسة، رغم اختلاف المستوى الاجتماعي- اقتصادي والتعليمي والمهني والجنسي والعمري لكل المستجوبين، من تصنيف أهم انطباعات الفئات الفقيرة حول تصوراتها الذهنية لأحيائها السكنية. إضافة إلى تحديد مستوى الرضا والشعور بهوية الانتماء الجغرافي لتلك المجالات.

أثرت الوضعية الصعبة للمستجوبين، جراء الفقر، على نظرتهم اتجاه مجالهم المعاش. إذ تباينت انطباعاتهم حول أحيائهم السكنية، ليبقى القاسم المشترك بينها الازدراء والإحساس بالوسم. ومع ذلك تلخصت أهم انطباعات المستجوبين في:

أ. أحياء شعبية ناقصة التجهيزات والخدمات القاعدية

شكل هذا رأي أكبر نسبة (37,6%) من المستجوبين، مما يعكس بجلاء دور ومكانة التجهيزات القاعدية. فافتقار معظم الأحياء الطرفية من المدينة إلى المرافق والتجهيزات العمومية الأساسية

كخدمات المياه والكهرباء والطرق والتعليم والصحة بقيت مسألة تحز في نفوس أفراد هذه الفئة السكانية حيث أصبحت تشكل مطلبها الأول.

ومن ناحية ثانية عكست هذه النسبة تطابق آراء مختلف الفئات العمرية حيث مثلت وجهة نظر (29,4%) من ذوى الفئة العمرية أقل من 30 سنة و(36%) لدى من تراوحت سنهم بين 30- 60 سنة في حين زادت أعمار البقية (34,6%) على 60 سنة (ولد أعبيد.م، 2013). لكن النسبة كانت أكبر لدى الرجال من النساء (68,7% مقابل 31,3%). كما تباينت المستويات التعليمية لأصحاب هذا الرأي: (4,3%) أميون و(17,8%) كتاتيب وابتدائي و(40,1%) مستوى متوسط و(36,2%) ثانوي، بينما لم يحدد البقية (1,6%) مستوياتهم التعليمية [1].

ومن ناحية ثانية تبين أن أغلب أصحاب هذا الرأي من ذوى المستويات المهنية البسيطة إذ يواجه (6,2%) البطالة ونقص في الشغل (22,9%) عمال يومية و(11,5%) سائقي أجرة و(26,4%) تجار بسطاء (باعة متجولون وتجار تقسيط) (9,6%) جنود ووكلاء أمن عام و(19,3%) مدرسي تعليم أساسي في حين لم يحدد البقية (4,1%) وضعيتهم المهنية.

أما من حيث التوزيع الجغرافي فيتركز جل أصحاب هذا الرأي بالأحياء غير القانونية من المدينة ككبة المربط بمقاطعة الميناء (25,3%) وحي البصرة بالسبخة (23%) وحي الكيلومتر PK13[2] من الرياض (22.4) ثم الحي الساكن بمقاطعة دار النعيم (19,1%) وحي أنبيّت عشرة في توجنين (10,2) (ولد أعبيد. م، 2013).

ب. فضاء رحب للفقر والتهميش الاجتماعي

جاء هذا على لسان (28,4%) من مستجوبي العينة، مما يستند إلى شيء من الواقعية خاصة أن معظم من تبناه يعانون البطالة ومن ذوي الدخل المنخفض والمستويات المتدنية في السلم الاجتماعي. وقد جاءت النسبة شبه متقاربة بين مختلف الفئات والمستويات والأعمار. فعلى سبيل المثال قلت أعمار (31,6%) من أصحاب هذا الرأي عن 30 سنة مقابل (37,1%) تراوحت سنهم

---

1 النسب المئوية المستخدمة في هذا المقال مستوحاة في الأصل من عمل ميداني أعده كاتب المقال في إطار أطروحة الدكتوراه (أنظر قائمة المراجع).

2 . Panneau Kilométrique

بين 30- 60 سنة، بينما زاد البقية (31,3%) على 60 سنة. وكانت نسبة الانطباع أرفع عند الرجال منها لدى النساء (62,6% مقابل 37,4%). كما تفاوتت المستويات التعليمية (7,4%) أميون و(24,3%) كتاتيب وابتدائي و(32,5%) متوسط و(33,1%) ثانوي في حين لم يحدد البقية (2,7%) مستواهم التعليمي (ولد أعبيد. م، 2013).

بشكل عام اتسمت الوضعية المهنية لأصحاب هذا الرأي بالبساطة: (23,2%) عمالة يومية أو خدم منازل أو عمال بسطاء؛ (19,1%) باعة متجولون أو عمال مهن يدوية خفيفة و(39,6%) وكلاء أمن عام أو جنود أو معلمين؛ بينما يزاول (13,7%) أعمالا حرة بسيطة كتصليح وبيع الأجهزة الإلكترونية المستعملة (الهاتف النقال، التلفزيون، الراديو، الثلاجات ...) في حين لم يحدد البقية (4,4%) مجال عملهم (ولد أعبيد. م، 2013).

يتواجد معظم أصحاب هذا الرأي مجاليا بالحي غير القانوني "كبة مندز" (28,7%) والدار البيضاء (22,6%) في الميناء؛ وحي Pk9 بمقاطعة الرياض (18,2%) والحي غير القانوني بعرفات (16,9%).

الشكل (01) : تمثلات السكان الفقراء لأحيائهم السكنية في أنواكشوط (%)

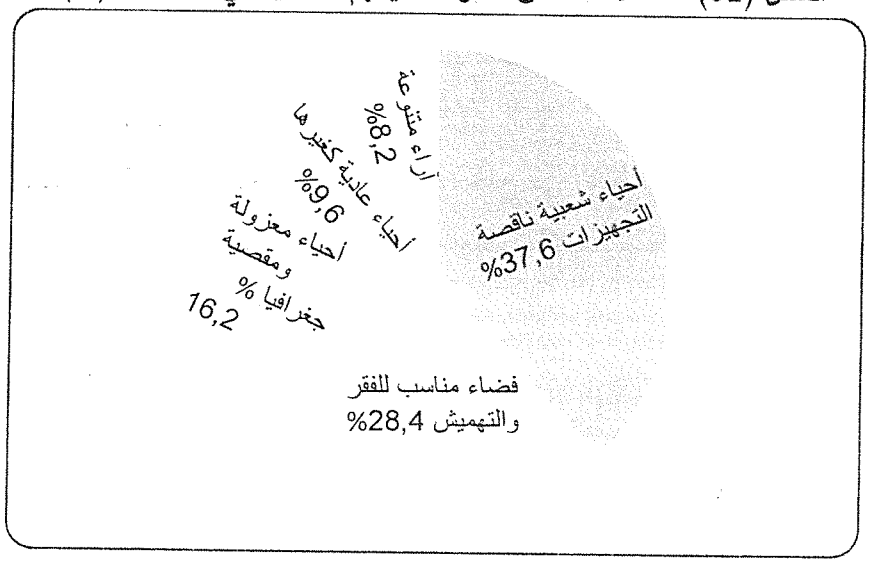

المصدر : (ولد أعبيد. م، 2013)

ج. أحياء معزولة ومقصية جغرافيا

يمثل هذا رأي (16,2%) من أرباب الأسر الفقيرة المستجوبين خاصة أن السواد الأعظم ممن تبنوه يقطنون بأحياء غير قانونية أو الأطراف الجيبية المحاذية للنسيج العمراني المخطط من المدينة. وهو ما يجعلهم يعتبرون أحيائهم السكنية في عزلة جغرافية وإقصاء اقتصادي بسب قلة اندماجها وارتباطها الضعيف بالمنظومة العمرانية- الاقتصادية للمدينة. تفاوتت أعمار هذه المجموعة حيث قلت سن (28,5%) عن 30 سنة و(42,9%) من الفئة العمرية 30- 60 سنة، أما البقية (28,6%) فزادت أعمارهم على 60 سنة. وقد جاءت نسبة الانطباع أكبر عند الرجال من النساء (71,3% مقابل 28,7%). كما تباينت المستويات التعليمية: (5,2%) أميون و(23,5%) كتاتيب وابتدائي و(47,7%) متوسط و(21,9%) ثانوي، بينما أحجم البقية (1,7%) عن الجواب على السؤال (ولد أعبيد. م، 2013).

أخيرا تفاوتت الحالة المهنية لأصحاب هذا الرأي بين (4,4%) يواجهون البطالة ونقص في الشغل و(39,7%) عمال بسطاء في قطاعات متعددة أهمها البناء وبيع الماء على العربات التي تجرها الدواب أو غسل الثياب والسيارات إضافة إلى (26,1%) ممن يزاولون أنشطة تجارية ذات مردود مادي ضعيف كبيع اللحوم وتجارة الألبسة والأحذية البالية (فكجاي/ فريب). كما تعمل نسبة معتبرة (28,3%) في مجالات وظيفية أخرى متنوعة أهمها الجيش والأمن الوطني والتعليم الابتدائي، بينما لم يحدد البقية طبيعة عملهم (ولد أعبيد. م، 2013).

يتواجد جل أصحاب هذا الرأي جغرافيا في أحياء: ملح في مقاطعة توجنين والبصرة بالسبخة ودار البركة والمشروع بتيارت وحي الكيلومتر 9 من الرياض، حيث يُشكِل ضعف المستوى الاقتصادي القاسم المشترك بين سكان تلك الأحياء.

د. أحياء عادية كغيرها

جاء هذا على لسان (9,6%) من المستجوبين وهو بمثابة الانطباع الوحيد الذي اتسم بنظرة إيجابية لا تخلو في بعض جوانبها من بُعدٍ عاطفِي تحددت من خلاله هوية الحي السكني مقارنة ببقية الصوّر الذهنية الأخرى السابقة التي عكست في مجملها نظرة سلبية عن واقع معايشة الفئات السكانية الفقيرة وإدراكهم الحسي لمجالهم المعاش الخاص. معظم من تبني هذا الرأي فقراء يقطنون

أحياء داخل النسيج العمراني المخطط. وكحال سابقاتها تباينت انطباعات أفراد هذه المجموعة حسب جملة من المعايير أهمها العمر حيث تقل سن (31,3%) عن 30 سنة فيما تراوحت أعمار (45,4%) بين 30- 60 سنة بينما تجاوز البقية (23,3%) 60 سنة. كما جاء الانطباع متقاربا بين الجنسين (53,2% رجال 46,8% نساء).

ومن ناحية ثانية تفاوت المستوى التعليمي لأصحاب هذا الانطباع بين (1,8%) أميون و(6,4%) كتاتيب وابتدائي و(39,2%) مستوى متوسط و(50,7%) ثانوي، بينما لم يحدد البقية (1,9%) مستواهم التعليمي. أما من حيث الوضعية المهنية فيعمل (56,2%) في القطاع العام ويزاول (20,8%) أعمالا حرة في مجال التجارة والصناعات البسيطة والنقل في حين يعمل (14,3%) في القطاع الخاص، أما البقية (8,7%) فيمارسون أعمالا مختلفة تتعلق بصيد الأسماك ومكاتب صرف العملات. يتوزع أصحاب هذا الرأي مجاليا على النحو التالي: السبخة (29,3%)؛ عرفات (26,8%)؛ توجنين (19,7%)؛ تيارت (16,6%)؛ وبالتوالي (7,5%) و(4,1%) في الأحياء القديمة بلقصر وتفرغ زين (ولد أعبيد. م، 2013).

أخيرا اختلفت الصورة الذهنية لدى بقية مستجوبي النسبة العامة (8,2%) حول أحيائهم السكنية لكنها تحمل في مجملها دلالات ونعوت سلبية كوصفها بمجالات البؤس والعوز والتعاسة والحرمان ومزابل المدينة. يسكن أغلب أصحاب هذا الانطباع الأجزاء القديمة من المدينة المعروفة محليا باسم المدائن والعمارات الإدارية، إضافة إلى بعض الأحياء الأخرى غير القانونية الفقيرة بمقاطعة توجنين كبوحديد وتنسويلم(1) وحي الرابع والعشرون ونظرائهم المتواجدون بمقاطعتي عرفات وتيارت. قلت أعمار (38,4%) ممن تبنوا هذا الرأي عن 30 سنة، مقابل (46,1%) تراوحت سنهم بين 30- 60 سنة لتزيد أعمار البقية (15,5%) عن 60 سنة (ولد أعبيد. م، 2013). وقد جاءت نسبة الانطباع متطابقة تقريبا بين الجنسين (52,3% رجال مقابل47,7% نساء).

ومن ناحية ثانية تبين أن المستوى التعليمي هو الآخر مرتفع نسبيا حيث لم نسجل أية حالة أمية ولا مستوى كتاتيب إذ لدى (6,2%) من أصحاب هذا الرأي مستوى ابتدائي و(21,8%) متوسط و(63,9%) ثانوي، كما سجلنا لأول مرة أصحاب شهادات عليا (3,7%)، ممن يعانون البطالة ونقص في الشغل، في حين لم يحدد البقية (4,4%) مستوياتهم التعليمية (ولد أعبيد. م، 2013).

تباينت الوضعية المهنية لأصحاب هذا الرأي حيث يعمل (39,6%) في القطاع الخاص كالتجارة والأعمال الحرة و(56,7%) في القطاع العام. بينما يواجه البقية (3,7%) البطالة خاصة أصحاب الشهادات العليا والمستفيدين من حق التقاعد (ولد أعبيد. م، 2013).

إذا كانت هذه بصفة عامة أهم الصوّر والتمثلات الذهنية لدى أفراد الفئة الفقيرة عن أحيائهم السكنية. فما هي صورة نظرائهم من الشرائح غير الفقيرة عن تلك الأحياء (الفقيرة)؟ من أي زاوية ينظرون إليها؟ كيف أثرت وضعيتهم المميزة على تلك الانطباعات؟.

انطلاقا من المبدأ القائل بأن الحي منتوج اجتماعي بالدرجة الأولي ومجال منظور يتم تمثله من قبل كل الفئات السكانية، قد يتطلب الأمر في بعض الأحيان معرفة الصورة والتمثلات التي يكونها أفراد من فئات سكانية أخرى عن مجالات سكنية لا ينتمون إليها اجتماعيا ولا جغرافيا وإنما تربطهم صلة المجاورة أو الانتماء لنفس المجال الحضري. **خاصة في ظل ما تمتاز به أحياء مدن اليوم من تنوع ثقافي وتعدد عرقي وطبقي** (Galissot. et Moulin. B,1995). لأجل الوقوف على تلك الحقيقة وجهت الدراسة جملة من الأسئلة، تتعلق بهذا الجانب، إلى أفراد من الفئات غير الفقيرة لرصد انطباعاتهم عن الأحياء السكنية الفقيرة، **إذ تساعد معرفة تباين وجهات نظر الأفراد من مختلف الشرائح السكانية على فهم المجال المعاش لما قد تعكسه من صورة صادقة** (Capel. H, 1975). لم يكن خيار هذه المقاربة من باب الصدفة بل غالبا ما يبدى ساكني الأحياء الفقيرة غلقهم من الصورة والانطباع غير اللائقين لدى سكان الأحياء الميسورة عن أحيائهم السكنية الفقيرة (Tanguy.P,2003).

عموما اتسمت انطباعات أفراد الشريحة الغنية اتجاه الأحياء الفقيرة بالنظرة الدونية ونعوت غير لائقة كوصفها بالتعاسة والحرمان وأوكار الإجرام وملاذ الضعفاء والمساكين.

الشكل (02): انطباعات بعض المستجوبين من الفئة الميسورة
عن الأحياء الفقيرة على مستوى مدينة انواكشوط 2010

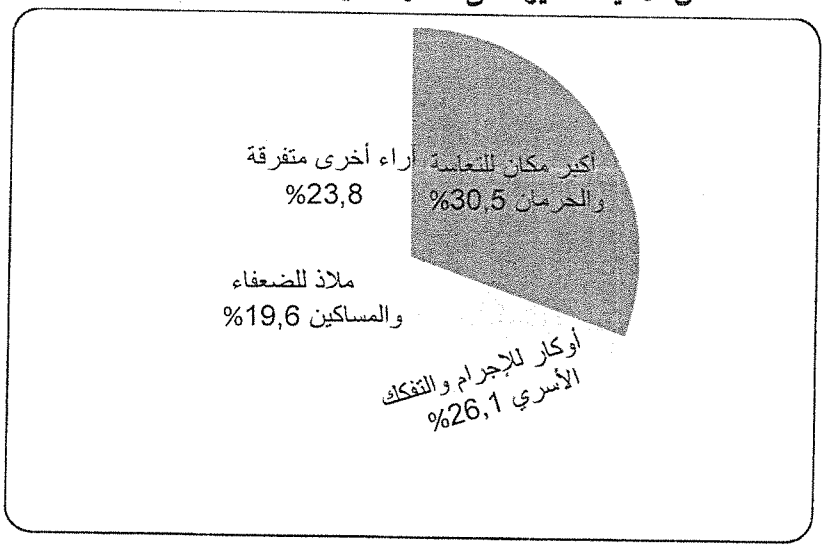

المصدر : (ولد أعبيد. م، 2013)

وفي نفس السياق أظهرت دراسة إنثروبولوجية عن الأحياء الفقيرة من مدينة القاهرة(العاصمة المصرية)سوء نظرة الفئات الغنية لها إذ تسيء بالنسبة لهم لمظهر وصورة المدينة. كما تمثل مصدرا لكثير من الأضرار والانحرافات والشر التي سرعان ما انتقلت في ظرف زمني وجيز إلى مناطق مجاورة كانت حتى عهد قريب، في منأى عن هذا النوع من السلوكيات (الجوهري. م، عثمان. س، 1991).

3. علاقة الفقراء بمجالهم المعاش : ذاكرة ضعيفة ومرجعيات مجالية مشوهة !

عادة ما يحمل الأفراد الذين ينتمون لنفس المجال تصورا موحدا، ففي الوسط الحضري يتقاسم العديد من الأشخاص نفس الطموحات لاشتراكهم في الانتماء الترابي وارتباطهم الزمني بمجالهم (Bailly. A, 1978). بشكل عام لمست الدراسة ضعف مستوى الإدراك الذهني لدى الفقراء لمجالهم الخاص (أحيائهم السكنية)، وعدم قدرتهم على تمييز تمثلاته. فقد أثرت وضعيتهم الاقتصادية، جراء الفقر والتهميش والإقصاء والعزلة الجغرافية، على ضعف إدراك ساكنيها وتمثلهم لمجالهم الخاص، إذ توحي المعاينة المكانية بضعف الذاكرة المجالية للأفراد التي تكاد تنحصر في حيز مكاني معين لا يتعدى أحيائهم السكنية (Choplin. A,2009). كما يبدو كثير من المرجعيات المجالية مشوه. وهو ما يترجمه بوضوح عدم

تطابق حدود الأحياء وأسمائها لدى معظم المستجوبين، حيث تبين تطابق أجوبة (64,7%) من المستجوبين عن سؤال متعلق بأسماء أحيائهم السكنية، بينما تباينت ردود (33,2%) ليعرب البقية (2,1%) أنهم لا يعرفون أسماء أحيائهم (ولد أعبيد. م، 2013).

وفي كثير من الحالات حملت تلك الأحياء أسماء تعكس الوضعية المزرية وضعف مستويات ساكنيها. ومن بين أشهر تلك الأسماء "الكبة" (Le Dépotoir) و"نتك جنب" وأنبيت عشرة" و"ملح من حيطك". كما تزامن إنشاء بعضها مع أحداث شهدتها مدن عالمية عاشت معاناة ومحن كالعاصمة البوسنية كوسوفو التي يحمل أحد أفقر الأحياء الحديثة النشأة بالمدينة أسمها؛ وينطبق نفس الشيء على مدينة قندهار الأفغانية والفلوجة العراقية وحي تل الزعتر الفقير بالعاصمة اللبنانية بيروت[1] وفي ذلك نوع من ثقافة الفقر والشعور به. في المقابل يحمل معظم الأحياء التي تسكنها الفئات الميسورة أسماء تعكس نفوذ وقوة أصحابها "دبي" و"لاس بالماس" وشان دلليزى" إلى غير ذلك.

---

1. في كثير من الحالات جاءت تسمية الأحياء الفقيرة من المدينة ذات دلالات معينة مرتبطة بأحداث محلية أو عالمية القاسم المشترك بينها قساوة الحياة وصعوبة الظروف. فعلى سبيل المثال تزامن ترحيل بعض سكان الأحياء غير الشرعية، في منطقة تنسويلم وعرفات إلى الأجزاء الجنوبية بالقرب من مقبرة المدينة، مع الضربات العسكرية التي قامت بها قوات حلف شمال الأطلسي **(L'OTAN)** سنة 1999لصربيا فأطلق سكان المدينة على تلك الأحياء الجديدة اسم " **كوسوفو**" تعبيرا عن الصعوبات التي يواجهها هؤلاء السكان المرحلون بسبب العزلة وضعف مقومات الحياة الأساسية إذ لا ماء ولا كهرباء ولا بنية تحتية . ونفس الشيء ينطبق على تسمية **حي الفلوجة** في مقاطعة عرفات الذي تم إنشاؤه سنة 2004 عندما كانت القوات الأمريكية والعراقية توجه ضرباتها للمقاومة العراقية التي لاقت (المقاومة) مناصرة كبيرة من مختلف شرائح الشعب الموريتاني فأطلق أصحاب هذا الحي اسم الفلوجة عليه تعبيرا عن قساوة الحياة ولإبراز مدى عزمهم وإصرارهم على الصبر والتحمل . وذلك أيضا حال **حي قندهار** المدينة الأفغانية التي يحمل أحد الأحياء الجديدة في مقاطعة عرفات اسمها . وبشكل عام يبدو أن هذه الظاهرة ليست بالجديدة فقد أطلق سكان المدينة على أحد الأحياء الفقيرة من مقاطعة دار النعيم قبل أن تكون تسمي بهذا الاسم **حي تلالزعتر** أسوة بالحالة الصعبة التي عاشها سكان أحد أفقر الأحياء العفوية الهامشية الواقعة في الأطراف الجنوبية من العاصمة للبنانية بيروت سنة 1976 عندما نشبت آنذاك الحرب الأهلية في لبنان بالإضافة إلى الضربات المتكررة التي وجهها الجيش الإسرائيلي لهذه المنطقة طيلة الحرب اللبنانية الإسرائيلية مطلع الثمانينات من القرن المنصرم. تجسد هذه الظاهرة بشكل عام نوعا من ثقافة الفقر والإحساس به إذ عادة ما يمتاز الفقراء بنوع من الصدفة والعفوية في تسميتهم للأشياء المحيطة بهم (Lewis.O,1964) .

ومن ناحية ثانية لا يدرك بشكل مضبوط (68,6%) من أرباب الأسر الفقيرة المستجوبين حدود أحيائهم السكنية، إذ أثرت وضعيتهم الاجتماعية- المجالية والاقتصادية الصعبة على وعيهم لإدراك حدود مجالهم المعاش. فقد جاءت المسافات المتمثلة لديهم عن تلك الحدود مشوهة وغير متطابقة حيث تفاوتت، في مجملها، بين تقليصها من طرف البعض وتضخيمها لدى البعض الآخر. فعلى سبيل المثال ارتبطت الحدود في أذهان الكثير بانتهاء امتداد الشارع خاصة إذا كان رئيسيا، بينما اقتصرها البعض الآخر على عدد قليل من المباني المجاورة، ليختزلها صنف ثالث في حدود القطاع (Secteur). وتبدو المسألة أكثر شيوعا بين النساء الفقيرات اللائي تبين أنهن يدركن بمستوى أقل حدود أحيائهم السكنية مقارنة بنظرائهم الرجال من نفس الشريحة. وهو ما قد يعزى إلى عامل الدينامية المجالية للأفراد التي ترتبط هي الأخرى بعامل النشاط والحركية المهنية. فكثيرا ما تأتي تقديرات الأفراد للمجال وليدة انتمائهم الاجتماعي ونشاطهم الحركي (George .P,1972).

يواجه سكان عدة مناطق من المدينة، بما فيها تلك الراقية، عدم وضوح حدود الأحياء بشكل مضبوط وفق نقاط مرجعية (Points de repère) مضبوطة، حيث تكاد تتسم تلك الحدود في طابعها العام بالضبابية. ويبدو الأمر أكثر حدة بين سكان الأحياء الفقيرة والطرفية التي لازال السكن غير القانوني يحتل مكانة هامة ضمن منظومتها السكنية، إضافة إلى ضعف الذاكرة المجالية لقاطنيها حديثي العهد بالريف حيث لم تتشكل لديهم بعد مرجعيات مجالية حضرية مضبوطة.

بصفة عامة تعزى مسألة ضعف الذاكرة المجالية إلى محدودية المعالم الأثرية والتاريخية والمعمارية بالمدينة حيث لا يحمل كثير من الأحياء أي دلالة رمزية. فعلى سبيل المثال تستخدم الأعمدة الكهربائية والنقاط الكلومترية « PK »كنقاط إرشاد مجالية ومعالم مميزة : شارع الديات[1] الثلاث و"أمسيد النور (مسجد النور)" بعرفات و"فراج ولد أبادو" بمقاطعة دار النعيم و"رامبلت ديم" بالقطاع الرابع من حي ملح بتوجنين. لكن هذه الظاهرة لا تنفرد بها المناطق الفقيرة والطرفية من المدينة بل تعرفها أحياء راقية تقطنها أغلبية ميسورة. إذ يستخدم أبيتيك كسكس[2]كمرجعية مجالية مشهورة بأحد

1. أي شارع الأعمدة الكهربائية الثلاث بعرفات.

2. تعني حانوت أو دكان كسكس .

الأحياء الراقية من تفرغ زين. هذه المسألة جعلت معظم سكان العاصمة لا يعرفون بالضبط ولا يدركون المرجعات الحدودية وخصوصية مجالهم المعاش بصفة دقيقة بل هم أقرب إلى تخمينها عشوائيا لضيق ذاكرتهم المجالية المكتسبة في معظم جوانبها من مسارات جغرافية شخصية تطبعها قبل كل شيء المصلحة الشخصية وثقل اللحمة والتضامن الاجتماعيين (الأسرة، العرق، القبيلة، الولاية، الجهة ...) وعوامل السن والنوع والفئة السسيو- مهنية والدخل والتاريخ ومكان الاستقرار والأحداث الأسرية أو الجماعية المشهورة والوقت ووسائل التنقل... (Ould Cheikh .A-W. Postface Cun,2011).

إذا كانت هذه بشكل عام أبرز الآراء المجسِدة للصورة الذهنية التي يكونها الفقراء عن أحيائهم السكنية من جهة، ونظرة الفئات الميسورة نحوها من جهة ثانية. فما هو مستوى رضا وشعور الفقراء بالانتماء لأحيائهم السكنية؟ ما علاقة ذلك بمفهوم المواطنة لديهم والإحساس بهوية الانتماء المجالي؟.

4. مستوى الرضا والشعور بالانتماء للحي السكني لدى الفئات الفقيرة

يَكمُنُ الهدف من التطرق لهذا الجانب في تسليط الضوء على مستوى العلاقة الحسية بين الفقراء ومجالهم المعاش ودرجة شعورهم وإحساسهم بالمواطنة مقارنة ببقية الفئات السكانية الأخرى. وذلك من خلال تثمين الأفراد لمستوى العلاقة التي تربطهم بهذا المجال الخاص مقارنة ببقية نطاقات المدينة الباقية.

عكست ردود المستجوبين وجود اختلاف في مستويات الرضا ودرجة الشعور بالانتماء للحي السكني لدى مختلف الشرائح السكانية. إذ أعرب (26%) عن كونهم راضون تماما عن الإقامة بأحيائهم السكنية مقابل (18,1%) راضون و(22%) راضون نسبيا. في المقابل ذكر (8,2%) أنهم غير راضون؛ و(8,5%) غير راضون نسبيا و(17,2%) غير راضون إطلاقا (ولد أعبيد. م، 2013). وقد تفاوتت النسب بين الشريحتين الفقيرة والميسورة، حيث أعرب (35,4% من أفراد الفئة الأولى عن رضاهم بالإقامة في أحيائهم السكنية مقابل 85,8% للثانية)؛ في حين ذكر (64,6%) و(14,2%) بالتوالي من رؤساء العائلات المستجوبين عن عدم رضاهم إطلاقا بالإقامة في أحيائهم السكنية.

الجدول (01) : مستوى الرضا بالإقامة في الحي السكني لدى مختلف الفئات السكانية بمدينة انواكشوط

مستوى الرضا	راض		راض نسبيا		راض تماما		غير راض		غير راض نسبيا		غير راض إطلاقا		المجموع
الشريحة	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	
الفقيرة	62	12,1	57	11,1	63	12,2	56	10,9	69	13,4	207	40,3	514
غير الفقيرة	176	22	231	28,9	279	34,9	52	6,5	43	5,4	19	2,3	800
كامل المدينة	238	18,1	288	22	342	26	108	8,2	112	8,5	226	17,2	1314

المصدر : (ولد أعبيد. م، 2013)

تفاوتت مستويات الرضا لدى معظم الشرائح بصفة عامة وتلك الفقيرة خاصة حسب جملة من المؤشرات أهمها التركيبة الجنسية والعمر والمستوى المهني والتعليمي ...، فمن حيث الجنس قلت مستويات الرضا لدى النساء الفقيرات مقارنة بنظرائهم الرجال (31,9% مقابل 68,1%) مما قد يعزى إلى ميل النساء للمظاهر البراقة والمفاخرة أكثر من الرجال. أما من حيث العمر فيزداد مستوى الرضا طرديا مع ارتفاع السن. فعلى سبيل المثال (67,3%) ممن أعربوا أنهم غير راضون إطلاقا عن الإقامة بأحيائهم السكنية لم تتجاوز أعمارهم 45 سنة، مقابل (47,6%) من الراضون تماما زادت سنهم عن 60 سنة، وهي خاصية تشترك فيها كل الفئات العمرية من الجنسين.

الجدول (02): مستوى الرضا عن الإقامة بالحي السكني لدى الفئة الفقيرة حسب العمر في انواكشوط

الفئة العمرية	مستوى الرضي												المجموع
	راض		نسبيا		تماما		غير راض		نسبيا		إطلاقا		
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	
أقل من 30 سنة	09	10,4	05	5,7	04	4,6	14	16,1	18	20,7	37	42,5	87
من 30- 40 سنة	11	5,4	11	5,4	19	9,4	27	13,4	31	15,4	103	51	202
من 45- 60 سنة	15	11,4	12	9,1	20	15,2	13	9,8	17	12,9	65	49,2	132
+ 60 سنة	27	29	29	31,2	30	32,2	02	2,2	03	3,2	02	2,2	93
المجموع	62	12,1	57	11,1	63	12,2	56	10,9	69	13,4	207	40,3	514

المصدر :(ولد أعبيد. م، 2013)

تظهر بيانات الجدول (رقم 2) ضعف مستوى الرضا لدى الفئات العمرية الشابة الفقيرة اتجاه أحيائها السكنية بسبب صعوبة الحياة جراء قلة فرص الشغل ونقص التجهيزات والعزلة الجغرافية

ومحدودية الخدمات، مما حدّ من طموح العديد منهم لدرجة أصبح معها البعض متمردا على الإقامة بحيه السكني.

على النقيض يقابل هذا الرأي الشبابي مستوى مرتفع نسبيا من الرضا لدى فئة المسنين (+60 سنة). وهو ما قد يُفسّر بقلة طموح أفراد تلك الشريحة في مجالات أساسية كالشغل والتجهيزات الثقافية والرياضية. كما أن الفئة المذكورة تنظر إلى أحيائها السكنية، رغم ما تعانيه، بعين الرضا كتجسيد لنوع من أشكال الروابط الوجدانية والتعاطف مع مجال الانتماء. وهو ما يعني أن دور الحي السكني كرمز للهوية الاجتماعية، أو أحد عناصرها الجوهرية على الأقل، جاء متباينا إلى حد كبير بين الفئات العمرية لهذه الشريحة. وعلى العكس بدا البعد المذكور (أي الحي السكني كرمز للهوية الاجتماعية) من خلال المعاينة والأسئلة المباشرة، متطابقا لدى مختلف أفراد الفئات العمرية من الشريحة الميسورة.

تركت هذه الانطباعات من مستوى الرضا أثرا بالغا على درجة الشعور بالانتماء لدى أفراد الشريحة الفقيرة حيث لَمَسْنا عند معظمهم (خاصة الشباب) ضعف إحساسهم بالانتماء الترابي لما يشعرون به من غيرَةٍ وغُبن ووسم ودونية وازدراء جراء إقامتهم في تلك الأحياء. ففي هذا الإطار تبين من خلال العمل الميداني أن (37,4%) (492 فردا من أصل 1314 مجموع مستجوبي العينة) يشعرون بنوع من الأريحية بالانتماء لأحيائهم السكنية. لكن الأغلبية (71,3%) (أي 351 شخص) تم تسجيلها على مستوى الأحياء الراقية مقابل (22,2%) (109 مستجوبا) من الشريحة المتوسطة وأخيرا (6,5%) (32 فردا) في الأحياء الفقيرة التي جاءت كل الردود الإيجابية فيها على لسان المسنين (+ 60 سنة)؛ بينما لم نسجل أي شعور إيجابي بالانتماء لدى الفئات العمرية الشابة (أقل من 30 سنة) نحو مجالها الخاص، بل على العكس لمسنا لدى أصحابها هروبا من الانتماء لتلك الأحياء.

ومن جهة ثانية تبين من خلال نتائج العمل الميداني والمعاينة المكانية أن الشعور بالانتماء إلى الحي السكني والإحساس بمشاكله المعاشة يختلف حسب الانتماء الاجتماعي والمجالي للأفراد. إذ يزيد الإحساس والإدراك ودرجة الوعي بسلبيات الحي كلما ارتفع المستوى الاجتماعي وزادت مدة الإقامة (المقضية) فيه ذلك أن (33,7%) من بين الذين لديهم تذمر قوي يقيمون منذ أزيد من 30

سنة في نفس الحي السكني ويتواجدون يوميا وبشكل شبه دائم في هذا النسيج العمراني. وهو استنتاج توصل إليه بعض دارسي الظاهرة الاجتماعية إذ أكد "بارتران" أن عدم الرضا بالحي يكون قويا كلما ارتفع المستوى الاجتماعي للسكان وزاد مستواهم الثقافي ودرجة وعيهم (Bertrand.M-

خريطة : مستوى الرضا عن العيش في الحي السكني
في انواكشوط، 2010

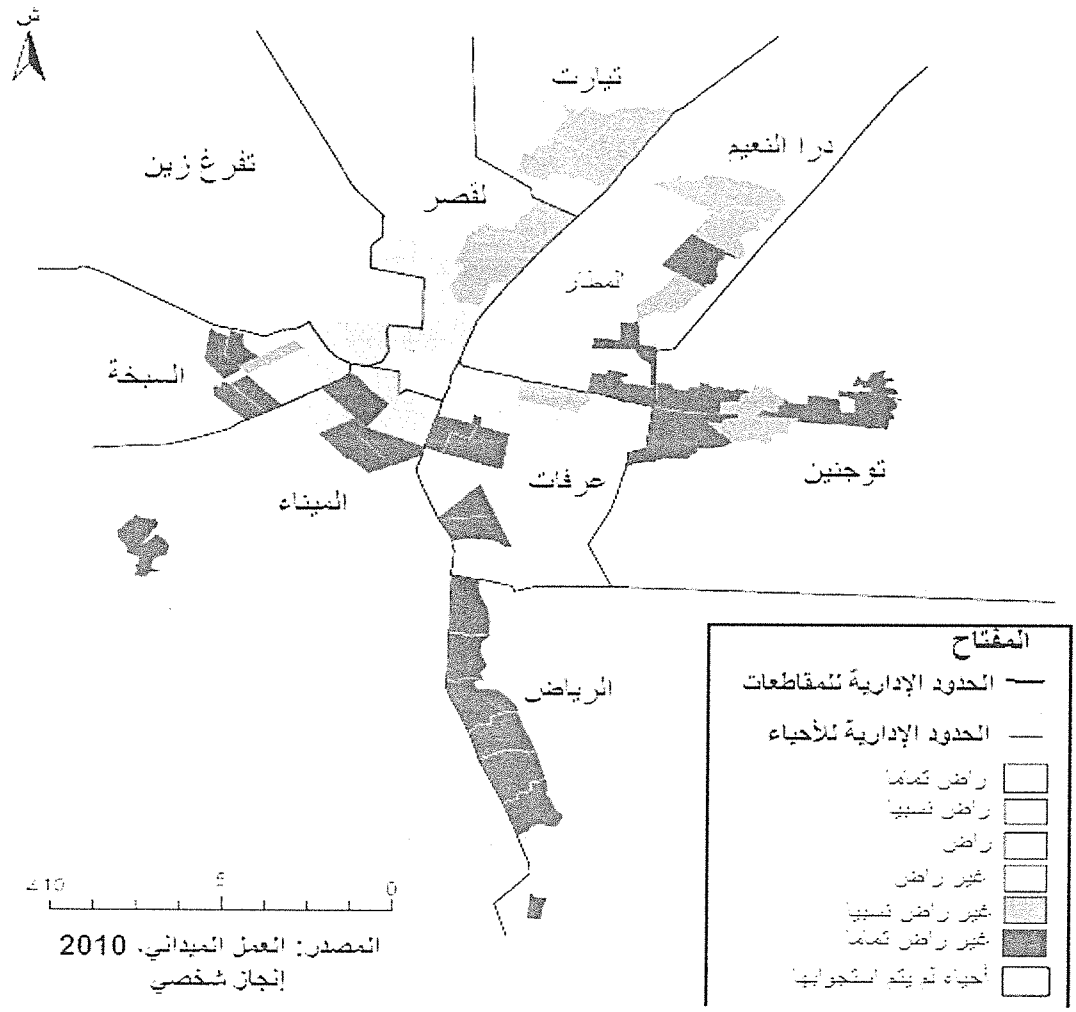

المصدر: العمل الميداني، 2010
إنجاز شخصي

كان من أبرز المخلفات الجوهرية لهذه الظاهرة حصر الممارسات المجالية للفئات الشابة داخل أحيائها السكنية زمنيا ومكانيا في مناطق معينة. فهم حسب المشاهدة الميدانية[1] ووفق سؤال شفهي يتواجدون كل مساء تقريبا بأحد الشوارع الرئيسية أو قريبا من مناطق مشهورة في الحي، كالمحلات التجارية وقاعات الألعاب ومحطة النقل العمومي ....، معروفة لديهم بـ "Places des chômeurs" يتجاذبون أطراف الحديث حول مشاكلهم الخاصة (العمل، السكن) وأحلامهم المستقبلية (الهجرة إلى الخارج، الجنس اللطيف ...)، إضافة إلى بعض المستجدات اليومية من طوارئ وعموميات مرتبطة بأخبار الكرة والأغاني والأفلام إلخ. كما يشكل هذا الحيز المجالي فضاءً مناسباً يُعبّرُ من خلاله هؤلاء الشباب عن بعض انطباعاتهم كسخطهم على السلطات العمومية وظروفهم الحياتية ومرارة إحساسهم لما يعانوه من حرمان وتهميش وغُبنٍ مقارنة بنظرائهم من ساكني الأحياء الميسورة بالمدينة.

في المقابل عادة ما تتواجد الفئات المسنة صباحا قرب المؤسسات الإدارية الكائنة بأحيائهم السكنية كمقر البلدية أو الحاكم أو المحكمة القضائية أو مراكز الأمن قصد تبادل الحديث وتقصي الأخبار والمستجدات بل وأكثر من ذلك يجسد هذا التصرف نوعا من التعبير عن الحنين إلى الماضي المهني حين كان بعضهم، قبل الركون إلى التقاعد، يزاول مهنة شبيهة. أما مساءً فغالبا ما يكون التواجد حول الدكان التجاري بالقرب من السكن أو دُورِ العبادة أو جنب محطة النقل أو ببعض الساحات والمناطق العمومية قصد للهو في لعب الورق أو الشطرنج بنوعيه العصري والتقليدي المعروف محليا باسم "ظامت.

عموما يتجلى مما سبق وجه العلاقة الحسية الكامنة بين مختلف الشرائح وأحيائها السكنية والدور الذي تمثله حالة كل فئة على حده. لتبقي الوضعية الصعبة التي يواجهها أرباب الأسر الفقيرة جراء العوز والتهميش والإقصاء والعزلة الجغرافية ماثلة في أذهان أفراد هذه الشريحة. وما خلفه ذلك من أثر بالغ في توجيه تصوراتهم الذهنية التي تجسد هي الأخرى تعبيرا وترجمة صادقين عن مستوى

---

1. وذلك من خلال قيامنا بالزيارة المتكررة لبعض المجموعات الشبابية ببعض الأحياء الفقيرة على مستوى مقاطعات : السبخة (حي سينما السعادة) والميناء (حي كبة المربط) وعرفات (حي الداي الثالثة والرابعة جنب السوق البلدية).

الرضا ودرجة الشعور بالانتماء للمجال الترابي الضيق. وهو ما يعزى من بين أسباب أخرى إلى أن جل الأحياء الفقيرة ذات سكن عشوائي، لم تعرف منذ نشأتها أي تغيير في مستوى الحياة بل على العكس ما فتئت تتدهور بها ظروف العيش يوما بعد آخر. وهو ما أكدت مدى صحته نتائج الدراسة الميدانية التي أظهرت أن أزيد من ثلثي أفراد العينة (67,2%) (أي 883 مستجوبا) يرون أن أحيائهم السكنية لم تشهد أي تحسن يذكر؛ مقابل (28,9%) (379 مستجوبا) أعربوا عن تراجع مستويات الحياة بأحيائهم في حين ذكرت البقية (3,9%) (52 مستجوبا) أن أحيائهم شهدت تحسناً (ولد أعبيد. م، 2013).

كما يشكل ضعف علاقة المواطن بحيه، الذي تكاد تنعدم فيه كلياً روابط ولجان أحياء، سببا مباشرا في تدني مستوى الحياة نظرا لغياب الثقافة المدَنِية «*La culture Citadine*» لدى الكثير من سكان العاصمة بصفة عامة ومقاطعاتها الطرفية التي يتشكل معظم قاطنيها من وافدين جدد لا تزال الطبيعة البدوية تسيطر على عقلية جِلِهم. فالمدينة كما يرى «كرافمايير» لها ثقافتها الخاصة التي تجسدها صورة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد (Grafmeyer.Y,1995).

البيبليوغرافيا

- بو كراع. (ر)، 1992 : فضاء الحي التقليدي وفضاء العمران العصري والانحراف، مجلة مجتمع وعمران، عدد خاص : 13- 14، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية والتعمير، تونس؛
- بيير. (ج)، 2002 : معجم المصطلحات الجغرافية، تعريب حمدي الطفيلي وهيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان؛
- الجديدي. (م)، 1997 : مسائل في الجغرافيا الحضرية، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 558 ص؛
- الجوهري. (م) وعثمان. (س)، (1991) : دراسات في الانثروبولوجيا الحضرية، الطبعة الأولي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 367ص؛
- ولد أعبيد. (م)، 2013 : الفقر في مدينة أنواكشوط : دراسة في الجغرافيا الاجتماعية. أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، قدمت إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية -9 ابريل- تونس، 594 ص.

☞Bailly. (A), La perception de l'espace urbain les concepts, les méthodes d'études, leur utilisation dans la recherche urbanistiques. Centre de recherche d'Urbanisme, paris, 264p ;
☞ BELHEDI. (A), 2002 : Connaissance et pratiques des milieux et territoires, Université de Tunis III, Colloque du Département de Géographie, Faculté des Sciences Humaines et Sociales (Tunis : 9-11 mars 2000), Publications de l'ENS;
☞ BERTRAND. (M-J) et METTON. (A), 1975 : "Le quartier vécu", L'information géographique, n°2-3, paris;
☞ BERTRAND. (M-J), 1978 : Pratique de la ville. Masson, Paris, 212p;

☞ CAPEL. (H), 1975 : "L'image de la ville et le comportement spatial des citadins", L'Espace géographique, n°1, P. 73- 80;
☞ CHOPLIN. (A), 2001: L'empreinte du nomadisme sur la représentation et la territorialité urbaine à Nouakchott, in, Géographie et Culture, n° 39. P112-142;

☞ CHOPLIN. (A), 2009 : Nouakchott, au carrefour de la Mauritanie et du monde, paris, Karthala, 366p ;

☞ DI MEO. (G), 1994 : Epistémologie des approches géographiques et socio-anthropologiques du quartier urbain, Annales de géographie, n° 577, mai- juin;
☞ GALLISSOT. (R) et MOULIN. (B), (dir.), 1995 : Les quartiers de la ségrégation, paris, édit. Karthala;
☞ ESCALIER. (R), 2001 : De la tribu au quartier, la solidarité dans la tourmente de l'urbain, l'exemple marocain, Cahier de la méditerranée, N° 63, pp. 13-39;
☞ GEORGE. (P), 1972 : Sociologie et Géographie. Edit. PUF, paris;

☞ GERMAIN. (A) et BLANC. (B), 1998 : "La vie de quartier dans le Montréal multiethnique", in, Revue européenne des migrations internationales, vol. 14, n° 11;
☞ GRAFMEYER. (Y), 1995 : La sociologie urbaine, édit. Nattant, paris.

☞ LEWIS. (O), 1964 : Les Enfants de Sanchez : autobiographie d'une famille mexicaine, paris, Gallimard, coll. Du Monde entier, 638;

☞ OULD CHEIKH. (A-W), 2011: (Le postface) Atlas de Nouakchott/ Infrastructures et services urbains, CUN, Nouakchott, 71p;

☞ TANGUY. (P), 2003: L'urbanisation irrégulière à Nouakchott, 1960- 2000, l'institution de la norme légale / illégale, INSANIYAT, n° 22, octobre- décembre, pp. 7-35;